مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر: الاهـــرام
التاريخ : ١٩٧٥/١٠/٩

تحقيقات « الأهرام » الخاصة

٦ أكتوبر

حرب الـ ٣ آلاف دبابة

معركة واحدة تستمر ٥ أيام كاملة .. متوالية ..

أمام « المزرعة الصينية

أحيانا .. كانت الدبابات تتحارب ، وبين كل اثنتين عشرة أمتار فقط

بنفس الشجاعة التى اتخذ بها قرار العبور المصرى ومن بعده قرار تطوير الهجوم كان قرار القيادة المصرية بعودة المفارز التى صنعت طليعة الهجوم الشامل لتساهم فى بدء مرحلة جديدة من مراحل الحرب وهى مرحلة تثبيت وتقوية رءوس الكبارى لاحباط الهجمات الاسرائيلية المضادة بالمدرعات والتى كانت المخابرات الحربية قد رصدت كل شواهدها لحظة بلحظة وحللت هذه الشواهد الى نتيجة رئيسية وضعتها امام غرفة العمليات المصرية نتيجة تقول « لم يعد أمام اسرائيل سوى اتجاه وحيد للحركة سوف يكون باتجاهنا على الجبهة المصرية وفى شكل هجوم مضاد بالدروع مستخدما محاولة النفاذ فى أى قطاع بين قواتنا للوصول الى رأس نقطة على الشاطىء الشرقى للقناة » ... وبدأت معارك الـ ٣ آلاف دبابة .

كانت القيادة المصرية حقيقة قد بدأت ترى ان الصدام المسلح قد بدأ يأخذ ابعادا جديدة فى المجالين السياسى والعسكرى فبينما بدأت محاولات جس النبض لاقرار وقف اطلاق النار كانت الولايات المتحدة الامريكية تقوم بأضخم عملية امداد شهدها العصر الحديث لاتستهدف من خلالها مجرد تعويض الاسرائيليين عن خسائرهم فى المعدات والاسلحة فقط وانما بلغ حد فتح ابواب المخازن الرئيسية للجيش الامريكى على مصراعيها واستئجار اضخم انواع الطائرات « الجالاكسى » لنقل المعونات لاسرائيل سواء من تسليح الجيش الامريكى فى الولايات المتحدة نفسها او من عتاد حلف الاطلنطى فى قواعده المنتشرة فى دول غرب اوروبا ، ولم يكن مجرد امداد باحجام هائلة من السلاح تتعدى مجرد التعويض وانما كان الامداد باسلحة حديثة لم يسبق استخدامها من قبل من الدبابات والصواريخ المضادة للدبابات ووسائل الاعاقة والشوشرة الالكترونية ضد وسائل الدفاع الجوى المصرية والقنابل التليفزيونية الموجهة « جو / ارض ».

هدف أمريكا: التوازن

واهم من ذلك كله فان هذا الجسر الجوى الامريكى الضخم صاحبه تهديد امريكى مباشر بالتدخل العسكرى لانقاذ اسرائيل جاء على لسان الرئيس الامريكى نيكسون ، بينما الاعلان الامريكى الرسمى عن الامداد بالسلاح مستمر وبشكل لافت للنظر الى حد أن المتحدث الامريكى الرسمى جمع الصحفيين صباح يوم ١٥ اكتوبر ليقول لهم بالحرف الواحد « ان طلائع الامدادات الامريكية قد وصلت بالفعل الى اسرائيل وان هدف الولايات المتحدة هو اعادة التوازن العسكرى فى المنطقة فضلا عن ان القرار الامريكى يرجع ايضا الى مستوى الخسائر الاسرائيلية فى المعارك » ولم يكذب المتحدث الرسمى الامريكى الانباء التى ذكرت ان عددا كبيرا من الطيارين الامريكيين قد غادروا قاعدة « ديلا دير » الجوية قاصدين تل ابيب

ان رؤية الموقف عموما شىء والتأثر به شىء آخر ذلك ان القيادة المصرية كانت بالفعل ترى كل مايدور على مسرح العمليات وعلى المسرح العالمى ولكنها فى قرارها كانت تصدر عن احساس بالمسئولية تجاه المستقبل العربى وتجاه السلام العالمى ... ولعل هذا يفسر تجاوزا القول بأن التهديد الامريكى بالتدخل المباشر لم يكن بالنسبة للقيادة المصرية اكثر من كونه تهديدا اجوف يكشف حجم الحماقة الامريكية ويحاول العودة بالعالم الى سنوات الغزو التى مضت الى غير رجعة .

لا معنى الا الانهيار

ان الدلالة الرئيسية التى رأتها القيادة المصرية فى هذه التهديدات هى ضعف الموقف الاسرائيلى اذ انه من غير المتصور اللجوء الى هذا الاجراء الا فى حالة انهيار اسرائيلى كامل الامر الذى يرجح ان هذا التهديد مقصود به تقوية الروح المعنوية الاسرائيلية المنهارة من ناحية ومسايرة الضغط الصهيونى على الحكومة الامريكية من جهة اخرى طالما ان القوات المصرية والسورية مازالت بعيدة عن خطوط ٤ يونيو ١٩٦٧

ثم ان هناك دلالة اخرى رأتها القيادة المصرية فى هذا التهديد الامريكى وتتمثل فى انتهاء مرحلة كئيبة من حياتنا كان الغرور الاسرائيلى قد بلغ فيها منتهاه فمنذ عام ١٩٦٧ واسرائيل تتباهى على لسان ديان وغيره من القادة الاسرائيليين قائلة .. « نحن لسنا

فيتنام ولا نريد ان يموت ابناء امريكا دفاعا عنا . اننا نريد السلاح فقط »

اما الان فقد اصبحت اسرائيل فى مسيس الحاجة الى هذا التهديد الامريكى للعالم العربى بالتدخل المباشر ولو فى مجال الاستهلاك المحلى لرفع المعنويات الاسرائيلية المنهارة

● ● ●

صباح الخامس عشر من اكتوبر كان الجانب الاخر من المواجهة على النحو الذى تصورته القيادة المصرية تماما فى اعقاب معارك الهجوم الشامل فقد حشد الاسرائيليون تشكيلات كبيرة من أسلحتهم المدرعة فى مواجهة رؤوس الكبارى المصرية، وفى خلف هذا الحشد الاسرائيلى الضخم كانت تشكيلات كبيرة من الاحياطى التعبوى والاستراتيجى قد تحركت من قلب اسرائيل واجتازت مدينة العريش وبدأت عملية اعادة تنظيمها وتشكيلها فى منطقة شرق المضايق .

ورغم هذا الحشد الهائل فان العمل الاسرائيلى اتسم طوال فترة الصباح بمحاولات لجس النبض والارهاق فقط حيث اقتصرت كل العمليات الاسرائيلية على مجرد شن هجمات مضادة محدودة الحجم بينما تولى الجزء الرئيسى من القوات الاسرائيلية مهمة انشاء مايعرف عسكريا باسم « خطوط الصد » فى المناطق المواجهة لقوات رءوس الكبارى للعمل على تثبيت حركتها من طريق المشاغلة وذلك باتباع نفس الاسلوب الذى كان متبعا من جانب الاسرائيليين طوال تورطهم فى الجبهة السورية وقبل بدء عملية تطوير الهجوم المصرى الشامل

ولم يكن تأخر الاسرائيليين عن البدء فى هجومهم المضاد المحتمل كجزء من تكتيك عملهم المعد سلفا من قبل وانما كانت قد واجهتهم ظروف غير عاديه عطلت خطة عملهم المقررة اذ ان وحدات كبيرة من رجال الكوماندوز المصريين قد تمكنت فى نفس توقيت عودة المغارز المصرية الى قواعدها ابتداء من بعد منتصف ليل ١٤ اكتوبر من التسلل الى خلف الخطوط فى عمق سيناء ونجحت فى توجيه عدة ضربات قوية وجريئة ضد كافة احتياطيات الاسرائيليين وزاد من ارتباك القيادة الاسرائيلية انه بينما كانت الضربات تتوالى على كافة المحاور فى عمق الخطوط الاسرائيلية كانت مجموعات اخرى من رجال الكوماندوز المصريين فى اتجاه المحور الساحلى الشمالى قد بدأت هجوما شاملا بعيدا من العمق فى اتجاه المحور الساحلى الشمالى لسيناء ضد احد مواقع العدو الحصينة فى منطقة « شرق بور فؤاد » ،

وثائقهم فى أيدينا

وعلى الطريق الساحلى شنت المقاتلات المصرية القاذفة هجوما ضد احد الطوابير المدرعة التى كانت فى اتجاه الموقع الحصين لتجدته فأوقفت الطابور ودمرت منه ٨ دبابات ، ٥ عربات مجنزرة ، ٢٣ عربة شئون ادارية ، وعلى ابواب الموقع الاسرائيلى الحصين فى شرق بور فؤاد جرى قتال وحشى وعنيف تلاحمت فيه مواجهات الافراد .

وبعيدا عن عمق سيناء ومحورها الشمالى الساحلى جرت عند اقصى الجنوب وعلى مسافة ٢٠ كيلو مترا داخل سيناء معركة تصادمية واسعة كان للمدفعية المصرية فيها دور حاسم حيث استمر هديرها فى شكل قصف لايعرف الهدوء على الرغم من محاولات الطائرات الاسرائيلية لاسكاتها بالقصف الجوى من ارتفاعات عالية ومسافات بعيدة ليتحاشى دخول دائرة الموت التى تصنعها قواعد الصواريخ المصرية

المتشابكة وليتأكد استمرار السيطرة المصرية على مركز القيادة الاسرائيلى غربى سيناء ... على ان اهم ما اسفرت عنه عملية السيطرة على مركز القيادة هو الحصول على وثائق هامة للاسرائيليين تشتمل على خرائط للعمليات وقرارات القتال وصور الاستطلاع الجوى ومفاتيح للكود الشفرى والرمزى وبرقيات القيادة العليا ودرجات تجاوب اجهزة الاعاقة والشوشرة والتوجيه فضلا عن كميات لاحصر لها من مهمات الشئون الادارية .

هجوم .. انتحارى

هكذا كانت الصورة التى وجد الاسرائيليون انفسهم عليها صباح ١٥ اكتوبر الذى حددوه موعدا لبدء توجيه ضربتهم المضادة الواسعة ومن ثم فقد بات محتما على الاسرائيليين ان يؤجلوا موعد ضربتهم المضادة الى ما بعد ظهر ١٥ اكتوبر وهو ماحسبته القيادة المصرية تماما واستعدت له فكان ماكان وجرى ماجرى من صدام بالدبابات لم تشهد البشرية مثله من قبل فى جروبها العالمية .

. . . . . .

من الرابعة بعد ظهر ١٥ اكتوبر بدأت القوات الاسرائيلية هجومها المضاد الواسع ضد القوات المصرية على مختلف المحاور التى تنتشر فوقها رءوس الكبارى ولكن ظهر بوضوح ان التركيز الرئيسى موجه اساسا ضد الفرقة المصرية ١٦ مشاة التى كانت تمثل مينة الجيش الثانى المصرى والتى كانت تمثل قوة الحراسة للجانب الايسر من المنفصل الموجود بين الجيشين المصريين الثالث والثانى .

وطوال الليل واصل الاسرائيليون موجات هجومهم المضاد بكثافة ودون اى اعتبار لما يتكبدونه من خسائر خصوصا تلك الهجمات التى تركزت على مينة الجيش الثانى المصرى وبالذات ضد قوات اللواء المصرى الذى يحمى الجانب الايمن للفرقة ١٦ المشاة المصرية ، وقد نجحت قوات هذا اللواء المصرى فى الثبات فى مواقعها واحتواء كل الهجمات المضادة التى وجهت اليها طوال الليل ثم مالبثت ان تحولت هذه القوات من موقف الدفاع الى حالة الهجوم وتمكنت من حصار القوات الاسرائيلية المهاجمة ودمرت عددا كبيرا منها .. وكانت هذه القوات الاسرائيلية المحاصرة والمدمرة هى طليعة اول محاولة اسرائيلية على نطاق واسع لاختراق الاوضاع الدفاعية للقوات المصرية عن طريق استغلال طبيعة الارض السبخية الملحية فى المنطقة المحاذية لمينة الجيش الثانى شرق القناة .

كانت هذه القوات الاسرائيلية التى جرى تدميرها تمثل افضل القوات العاملة فى فرقة « شارون » ولكن الاسرائيليين مع ذلك سارعوا بدفع قوات اخرى بديلة ثم تدميرها ايضا وبسرعة بالغة دفع الاسرائيليون بتشكيلات جديدة دخلت فى معارك شرسة مع القوات المصرية التى كانت قد احسنت تخندقها فى هذا القطاع وعززت استعداداتها بقوات اكبر كثيرا مما كان يعتقد الاسرائيليون ، وقد استمرت المعركة فى هذا القطاع خمسة ايام متوالية كانت كلها لهبا ونارا ودما واشلاء ودفع فيها الاسرائيليون ثمنا غاليا خصوصا تلك المعارك التى دارت عند قرية « الجلاء المصرية » والتى يسميها الاسرائيليون بمعارك « المزرعة الصينية » حيث اعترف جميع القادة الاسرائيليين بأن هذه المعركة تعتبر اصعب المعارك التى دخلها الجيش

الاسرائيلى طوال تاريخه ولم ينجح الاسرائيليون طوال معركتهم الشرسة فى هذا القطاع فى احتلال الموقع المصرى الذى كان هدفا للهجوم والسيطرة عليه سيطرة كاملة الا بعد اقرار وقف اطلاق النار فى ٢٢ اكتوبر ... ولقد كان الموقع المصرى الذى جرى حوله اضخم قتال بالمدرعات فى العصر الحديث يعتبر موقعا حاكما فى محاور الطرق والمدقات فى هذا القطاع .. وصحيح ان الاسرائيليين نجحوا بعد ٣ ايام من القتال حوله فى السيطرة عليه ولكن هذه السيطرة لم تدم سوى ٤ ساعات نجحت بعدها القوات المصرية فى تطهير الموقع واعادة السيطرة المصرية عليه وهكذا استمر القتال والموقع يسقط ثم يستعاد ثم يسقط ويستعاد وهكذا !

عناق الأعداء !

وطوال معارك السقوط والاستعادة جرت معارك الدبابات على مسافات لم يعرفها تاريخ الحروب من قبل حيث وقفت الدبابات المتحاربة على مسافات تصل الى ١٠ امتار فقط من بعضها بعضا ، وفى أماكن كثيرة كان يمكن مشاهدة دبابة « باتون » اسرائيلية محترقة على بعد متر واحد من دبابة « ت ٥٥ » مصرية مصابة حيث لامست مدافعهما بعضها البعض تعبيرا عن مشهد درامى لقول قديم مأثور « عناق الاعداء »

. . . . . .

طوال الليل من يوم ١٥ اكتوبر كان واضحا ان الاسرائيليين بكل ثقلهم الذى يدفعون به الى المعركة يستهدفون اساسا تصفية رأس الكوبرى فى قطاع الفرقة ١٦ المشاة المواجهة لمنطقة البحيرات بهدف الاستيلاء والوصول الى نقطة صغيرة على خط المياه فى الضفة الشرقية للقناة لاقامة رأس جسر يسهل امكانية انشاء عدد من المعابر والمعديات لنقل جزء من القوات الاسرائيلية الى الضفة الغربية كمحاولة لاثبات الذات قبل اقرار وقف اطلاق النار الذى كانت شواهد كثيرة فى المسرح السياسى الدولى تؤكد اقتراب توقيت اقراره .

ولان النوايا الاسرائيلية كانت واضحة تماما بهذه الدرجة فى ذهن القيادة المصرية فان الاسرائيليين لم يتمكنوا طوال هجومهم المضاد هذه الليلة من تنفيذ هدف تصفية رأس الكوبرى المصرى ويثمن باهظ من الافراد والمعدات لم ينجح الاسرائيليون الا فى زحزحة العناصر الامامية للواء الايمن للفرقة ١٦ الى الخلف لمسافة كيلو مترين فقط ويروى الاسرائيليون فى مختلف الروايات التى صدرت عنهم عن هذه المعارك « ان قوات شارون واجهت معارك ضارية ودامية وان اصعب المعارك كانت تلك التى جرت حول الموقع الذى عرف باسم « المزرعة الصينية » وان المدفعية المصرية كانت تعمل طوال المعارك بوتيرة فتاكة وان مئات الاطنان من القذائف نزلت على القوات الاسرائيلية وعلى محاور تحركها . وان ماحدث فى معارك هذه الليلة كان مشهدا من الصعب وصفه فقد انتشرت آلاف الدبابات وزحفت قوافل لانهاية لها من التموين والذخيرة والوقود والجنود على المحور مترا مترا واقتضت الضرورة فى تلك الساعات تجنيد معظم طائرات الهليكوبتر الاسرائيلية لسحب جثث القتلى والجرحى

المقـــــــبرة

ان اضخم مقبرة فى تاريخ الجيش الاسرائيلى كانت حـــول « المزرعة الصينية » ذلك الموقع المصرى الحصين الذى يقع الى الشرق من خط السكة الحديد الموازى لقناة السويس عـلى الضفة الشرقية وفى المنطقة الموازية لمضيق البحيرات المرة ، ولم يـكن الحصن المصرى واحداً شبيها بقـلاع خط بارليف وانما عدة مبان كانتتستخدم قبل حرب ١٩٦٧ كمحطة تجارب زراعية مصرية بالمساهمة مـع اليابان التى أوفـدت بعض خبرائها وكانت بعض جدران المنازل تحمل عناوين باللغـة اليابانية ولعل هذا هو السبب الـذى دعا الاسرائيليين الى الاعتقاد بعـد حرب يونيو ١٩٦٧ ان هذه الكتابات باللغة الصينية واصطلحوا على تسمية المكان بالمزرعة الصينية ■

مرسى عطا الله

مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: الجمهورية

التاريخ: ١٩٧٥/١٠/٢٤

الرئيس يروى فى حديث خاص "للجمهورية"

أخطر قرار بعد العبور

قواتنا خرجت من حرب أكتوبر على درجة أكبر من الاستعداد سوريا كانت تخطط - قبل بدء الحرب - لوقف القتال بعد ٤٨ ساعة !

واصل الرئيس أنور السادات حديثه مع عبد المنعم الصاوى فاعلن ان أخطر قرار اتخذه بعد قرار العبور استهدف حماية قواتنا المحاربة فى سيناء .

واكد الرئيس انه بدا معركة اكتوبر المجيدة وهو متفائل مرتاح النفس ، لان التخطيط للمعركة كان قد تم على اسس علمية ، ولان المقاتلين كانوا على اعلى درجات التاهب والاستعداد .

وقال الرئيس انه لم يكن لديه ادنى شك فى الانتصار وان المعركة بدات لتستمر وان هذا كان اتفاقا بينه وبين الرئيس حافظ الاسد .ولهذا فان الرئيس دهش دهشة بالغة عندما ابلغ بعد ٦ ساعات فقط من بدء المعركة بطلب سوريا وقف اطلاق النار .

ويروى الرئيس السادات فى حديثه الخاص « للجمهورية » موقف القيادة المشتركة من تخطيط المعركة على الجبهة السورية ورأى المشير احمد اسماعيل على القائد العام للقيادة المشتركة وقتئذ فيما خطط له السوريون •

وفى تحليل عسكرى صريح اوضح الرئيس كيف تحققت اهداف معركة اكتوبر كاملة بنصف المعركة •

وتناول الحديث نتائج حرب اكتوبر على موقف الولايات المتحدة الامريكية ، وفى داخل اسرائيل ، وكذلك تناول تطورات حرب اكتوبر ، بعد ان تدخلت فيها قوات امريكية وكيف كان التخطيط مبنيا على اساس ان تخرج قواتنا من المعركة اقوى مما دخلتها •

وفى حديث الرئيس السادات شرح كامل للاسباب التى دفعت الى اعفاء الفريق الشاذلى من منصبه وان لحظات حرجة اكتنفت المعركة ، وكان يمكن ان تؤدى الى كارثة أقسى من كارثة سنة ١٩٦٧ ، لو لم يتدخل الرئيس بقرار جاسم ، انقذ به الموقف •

وشرح الرئيس موقف القوات الاسرائيلية المعتدية على السويس ، وكيف كانت المقاومة عنيفة وباسلة •

وحلل الرئيس فى حديثه موقف كيسنجر واستراتيجية الولايات المتحدة الامريكية فى المنطقة ، وبرغم معاناة الرئيس من صيغة التعامل مع الاتحاد السوفيتى وقادته ، الا انه اكد حرصه على ان تسير العلاقات بين البلدين فى طريقها الطبيعى •

حديث متصل مع الرئيس السادات

حاربنا من أجل الحرية ولكن حققنا بنصف المعركة أهداف المعركة الكاملة

اتفقت والملك فيصل على أن تستمر المعركة أطول وقت ممكن

الوقفة فى حديث ، كالنقطة على صفحة ...
والنقطة عند الكاتب ، جزء مما يكتب .
... كلحظات الصمت ، فى تكوين موسيقى .. ان لحظة الصمت بدورها .. موسيقى !

... وبعد الوقفة عند قدر مصر ومسئوليتها التاريخية عن نفسها ، وعن هذه المنطقة من العالم ، قلت للرئيس السادات :
هل كان فى تقديرك ، كل ما حققته قواتنا المسلحة من بطولة على ارض سيناء ؟

وقال الرئيس :

كنت متفائلا مرتاح النفس . لقد خططنا للمعركة تخطيطا علميا مدروسا بكل ما تقتضيه الخطة من تفصيلات ، وواجبات ومهام . كانت خريطة سيناء امامى بكل معالمها . كل تفصيل على أرض سيناء كان موضوعا فى الاعتبار . وكل قائد وكل مقاتل كان يعرف واجباته ، ودرب عليها ، واستعد لها استعدادا هائلا .

○ اولادى بالقوات المسلحة ابطال

لهذا فقد كنت متفائلا ومرتاح النفس .
اولادى فى القوات المسلحة كانوا على اعلى درجات التاهب والاستعداد . وكنت فى نفس الوقت اعرف اولادى من ابناء شعبنا الطيب ، اصلاء ورجالا وابطالا عند الشدة . ثم كان فى تقديرى ان ابناء الامة العربية جميعهم مشوقون الى معركة شرف وكرامة وكبرياء ، وان مثل هذه المعركة ستلهب مشاعرهم وستستبد بكل ما يملكون من الحماسة والطاقات . ولم يكن لدى ادنى شك فى الانتصار . وكان تخطيطى للمعركة ان تستمر اطول وقت ممكن ، وقد التقى معى فى هذا التخطيط المغفور

له جلالة الملك فيصل ، فقد طلب منى ان تطول المعركة بالقدر الذى يمكن من تكوين راى عام عربى .

قلت للرئيس :

وكان هذا موضع اتفاق مع الرئيس الاسد ؟ ..

قال الرئيس السادات :

طبعا .. كل هذه التفصيلات كانت موضع اتفاق ، ولهذا كانت دهشتى بالغة عندما ابلغنى الروس بطلب سوريا وقف اطلاق النار ، بعد ست ساعات فقط من بدئها ، وجنودنا يقتحمون ارض سيناء ، بعد المعجزة التى حققوها باقتحام خط بارليف . وزادت دهشتى ، عندما علمت ان السوريين تقدموا بطلبهم للروس قبل بدء المعركة ، وقد حكوا هذه الحقيقة للرئيس تيتو .

قلت للرئيس :

سيادة الرئيس .. كانت هناك قيادة مشتركة افلم تكتشف هذه القيادة شيئا من هذا ؟

○ حظر الاسراف فى التفاؤل

قال الرئيس السادات :

على العكس . لقد كان المرحوم احمد اسماعيل على قائدا عاما للقيادة المشتركة ، ولقد ذهب الى الجبهة السورية قبل المعركة ليضع خبرته تحت تصرف الجيش السورى . وقد فوجىء الرجل بان الضباط السوريين يقولون له انهم سيستولون على كل الجولان ، خلال ثمان واربعين ساعة من بدء القتال . لكن المشير رحمه الله قد كان جنديا محترفا ، وكان دقيقا فى احكامه ، فنبههم الى خطر الاسراف فى التفاؤل على هذا النحو ، وقال لهم ان الاستيلاء على الجولان على وثبات ، مع تحطيم قوات العدو فيما يسمى بمناطق قتل فى كل وثبة ، كما نقول فى التعبير العسكرى . لكنهم اصروا مؤكدين ان ذلك تخطيطهم .

قلت للرئيس السادات :

ان طلب وقف اطلاق النار بعد ثمان واربعين ساعة اذن ، كان قائما على هذا التوقع ، يستولون على الجولان فى جولة واحدة مدتها ثمان واربعون ساعة ، وتتدخل الامم المتحدة من خلال مجلس

الامن لوقف القتال ، بعد أن يكون هذا الاستيلاء قد تم كما قدروا هم .

قال الرئيس السادات :

.. ربما . لكن المشير احمد اسماعيل على كان يعرف قوة العدو ، كما كان يعرف ان قوات اسرائيل قد كسبوا خبرة الحرب العظمى الثانية ، وانهم بالقطع ليسوا قطعا من الشطرنج ولكنهم مدربون . وخبراء ومزودون باحدث الاسلحة الالكترونية الامريكية . وليس عيبا ان تعرف قوة عدوك . وانما العيب الا تستعد لها بما تستحقه من تدريب وتسليح واستعداد للتضحية .

قلت للرئيس السادات :

هل تأذن لى ان اسأل ، هل حققت حرب اكتوبر اغراضها ، كما خططت لها ؟

قال الرئيس :

بنصف معركة تحققت الاهداف التى استهدفناها منها بينما كان تقديرنا ان نحقق هذه الاهداف بمعركة كاملة .

ورأنى الرئيس محتاجا الى مزيد من الايضاح فقال وهو يضحك :

رب ضارة نافعة .

○ كيسنجر ايقظ نيكسون من نومه

ومضى الرئيس يشرح :

عندما وصلت اول اخبار عن الحرب الى الولايات المتحدة ، ايقظ كيسنجر الرئيس نيكسون من نومه ، ليبلغه النبأ . ثم اتصلت تل ابيب بامريكا لتقول : اننا سندق عظام العرب خلال يومين ، وسنعطيهم درسا لن ينسوه ابدا .

وبعد يومين عادت اسرائيل فاتصلت بامريكا لتقول لهم اننا قضينا اليومين الماضيين فى التعبئة ، خاصة بعد عيد الغفران وموسم الاجازات ، ولا نحتاج الا ليومين آخرين ، لندق عظام العرب ونعيد عقولهم الى رءوسهم .

وسأل المسئولون الامريكان : وهل تريدون اسلحة او عتادا ؟ ورد الاسرائيليون عندنا كل شىء الآن ، وسنحتاج الى تعويض ما نخسره مستقبلا .

ومضى اليومان ، ولم يستطيعوا ان يدقوا عظامنا ، وانما

ظلوا مهزومين ينسحبون فى هلع . وقد انهار ديان فى الميدان وبكى امام الصحفيين الاجانب والاسرائيليين ، لانه ايقن انه خسر الحرب ، وقال بالحرف الواحد : لن نستطيع ان نزحزح المصريين بوصة واحدة .

وهنا انطلق شعار : انقذوا اسرائيل .

حمله سفير اسرائيل فى واشنطن ، فاتصل كيسنجر مرة اخرى بجولدا مائير ، فاعترفت بان الموقف يحتاج الى انقاذ ، وادرك كيسنجر بعقله الاستراتيجى ان اسرائيل قد فقدت هذه الجولة ، فكلف البنتاجون باتخاذ اجراءات انقاذ اسرائيل ، وبدأ القمر الصناعى الامريكى يعمل لتحديد صورة الموقف ، وعلى اساسها تتحدد كمية المعونة الامريكية وحجمها .

قلت للرئيس :

اذن لم تصور الاقمار الصناعية الايام الاربعة الاولى .

○ صور رائعة للتاريخ

قال الرئيس :

لم تصور الموقف الا بعد اليوم الرابع .

قلت للرئيس :

خسارة .. كان يمكن ان نسجل للتاريخ صورا رائعة عن مرحلة من اهم مراحل التطور فى حربنا مع عدونا .

قال الرئيس السادات :

كان الانطباع الذى اكده القادة الاسرائيليون انها ليست الا نزوة عربية ، ستردها اسرائيل الى صدور العرب فى قسوة وحسم ، فلم يهتم احد بتسجيلها ، ولم يدركوا حقيقتها بناء على تقريرات اسرائيل الرسمية . المهم ان الولايات المتحدة بدات تدخل المعركة ، من خلال جسر جوى اقاموه بسرعة ، وبداوا يرسلون طائراتهم بطياريها ، ودباباتهم باطقمها .. يهبط كل ذلك فى مطار العريش ، ويتجه على الفور الى الميدان . من يوم ١٧ اكتوبر وانا احارب امريكا ، واسلحة امريكا ، وعتاد امريكا . ولم يكن هذا ممكنا ، الا اذا كنت اغامر بحياة ابنائى المقاتلين الابطال ، وهم عندى اغلى عنصر من عناصر القتال الشريف .

لكن تدخل امريكا فى جانب اسرائيل ، قد خلق موقفا جديدا ، وادى بالتالى الى موقف امريكى جديد ، والى الفصل

الاول للقوات ثم الفصل الثاني ، لتتحقق اهـــداف المـــعركة بوصولنا الى الممرات ، ولم نكن قد انجزنا من خطة المعـــركة الا نصفها . هم اذن الذين اختصروا معـــركتنا الى النصف ، لكن نصف المعركة قد حقق اهداف المعركة الكاملة .

قلت للسيد الرئيس
... ولو لم تتدخل امريكا ؟

قال الرئيس :
كنا قد مضينا نتمم معركتنا حتى الممرات ، وحقول البترول ، ثم تصبح بقية ارض سيناء ، بساطا مكشوفا فى قبضة ايدينا عندما نريد .

قلت للرئيس :
وخسائر المعركة الكاملة كانت ستكون الضعف .

قال الرئيس السادات :
الحمد لله ان خسائرنا محدودة ، حتى لا تكاد تقارن بما كسبناه . ولقد كانت تعليماتى للمشير اسماعيل والقادة العسكريين منذ البداية ، هى انى لا اريد لقواتى ان تتحطم ، ولا لعتادى ان يتبدد ، فى مغامرة تؤدى الى استنـــزاف قوانا وتتركنا ـ حتى ولو كنا منتصرين ـ فى حالة ضعف ، قد يفتح احتمالات الهزيمة ، لو استطاع العدو اعادة تجميـــع قوته ، او لم صفوفه .

وسألت الرئيس :
هل اعرف من سيادتك احد أسرار الموقف ؟ على اى وضع خـــرجت قواتنـــا بعد ٢٢ اكتوبر عام ١٩٧٣ ؟ هل كانت على نفس الدرجة من الاستعداد لاستئناف القتال ؟

○ قواتنا قوية بخبرة القتال

قال الرئيس فى ثقة :
لقد خرجت قواتنا اقوى كثيرا بخبرة القتـــال مما دخلت المعركة .. وبالنسبة للسلاح والعتاد ، كانت درجة استعدادنا بعد المعركة اكبر برغم فقدنا لبعض الاسلحـــة وخاصة فى الطيران . اما معنويات الرجال ، فقد كانت فوق السحب . لقد استعادوا تاريخهم المجيد ، وعادت اليهم الثقة فى قدراتهم ، ولم يعودوا يخافون العدو ، او يصدقوا دعاياته ، او يقعوا تحت تاثير المقالات المثبطة للهمة الداعية لليأس .

قلت للرئيس السادات :
الحرب نوع من اختبار القـــوى ، وأيام الاختبار تسفر عن مفاجآت ـ مهما يكن الحساب ـ فهل لم تكن هناك مفاجآت خلال أيام القتال ... مفاجآت حرجة ومخيفة ؟

قال الرئيس ، ونهر النيل امام عينيه :
ما اصعب ان تكون مسئولا عن ارواح آلاف الآلاف ، وهى تقاتل . ان القائد الأعلى الذى يصدر قرار الحرب ، لا يفكر فى نفسه ، ولكنه يحسب حساب كل قطرة دم تسيل على ارض المعركة . كل لحظة خوف قد تزعزع الثقة فى قلب مقاتل كل ومضة خطر تحيق بمغامر يقتحم المواقع دفاعا عن شرف التاريخ . معاناة قاسية على النفس ، لولا أنها من اجل هدف اسمى وابقى واخلد . من اجل جموع الفـــلاحين البسطاء ، ممن يريدون ان يزرعوا ارضهم آمنين . من اجل مـــلايين العمال ، ممن يريدون ان ينتجوا وان يكسبوا ليعيشوا ويربوا ابناءهم حتى يفرحوا بهم ، ويزوجوا بناتهـم مطمئنين . من اجل كل صاحب مهنة او حرفة . هذه الرغبـة فى استقرار الحياة آمنة ورغدة على ارض الوطن ، هى التى تبـرر كل ما يتحمله المسئول عن اصدار قرار الحرب . هذا الى جـوار الحرية ـ وهى عزيزة ـ والكرامة ـ وهى غالية ـ واستقـلال الارادة ـ وهى مظهر كرامة الانسان .

اللحظـــة الحـــرجة

وبرغم كل ذلك ، فان اللحظة الحرجة التى لا انساها ، هى تلك التى حدثت عقب اختراق ثغرة الدفرسوار ، واقتـــراح الفريق الشاذلى ان يسحب المقاتلين من سيناء ، ليواجه بهم آثار الثغرة . ساعتها تصورت افظع نتائج يمكن ان تسفر عنها الحرب . ان هذا لو تم ، لتكررت مذبحة ١٩٦٧ ، بصـــورة اقسى وامر . كان معنى هذا الاقتراح ان اقدم اولادى للمذبحة ، فضلا عن تعريض قواتى كلها لدمار كامل .

وبينما كان رئيس الاركان يقترح هذا ، كان الجنود والقادة ينتظرون القرار وهم فى اوج روحهم المعنوية . لم يكن فيهم واحد مستعد لان يخلى مكانه على ارض سيناء . ولم يكن فيهم واحد يريد ان يتزحزح عن موقعه .

وكان قرارى عزل رئيس الاركان الفريق الشاذلى ، وتعيين الجمسى فى مكانه ، والا يترك احد موقعه ابدا .

لحظة اختبار كانت فى غاية الدقة والحرج والخطر كذلك ، لكن الله وفق الى اتخاذ القـــرار السليم فى الوقت المناسب تماما .

قلت للرئيس
وكان هناك تخوف من ان تمتد قوات الثغرة الى عمق الوادى .. والى القاهرة مثلا ؟

قال الرئيس السادات وهو يبتسم :
هل يجرؤون على دخول القاهرة ؟ اذا كانت السويس ، وهى مدينة هاجر اهلها ، ولم يبق فيها اكثر من بضعة آلاف ، قد اذاقتهم الويل ، واستولت على كل دبابة دخلت ، واسرت كل جندى من جنود الاعداء غامر بالدخول . اذا كانت السـويس قد فعلت هذا ، فماذا كان يحدث لو اقتربوا من القاهـــرة ؟ انى لم اتصور لحظة ان ذلك ممكن ، او ان الجنون قد وصل بهم الى هذا الحد . الثغرة قد كانت معـــركة تليفزيونية استغلت للدعاية ، اكثر منها عملا عسكريا يحسب له حساب .

بل لقد وضعنا خطة للقضاء عليها نهائيا وتصفيتها ، لولا ان كيسنجر قال لى ان ذلك لو تم فستدخل امريكا الحرب ضدنا ، بصورة واضحة ومكشوفة . وهذا وحده كاف لاثبات ان الثغرة قد كانت مخططا امريكيا ، لحفظ ماء وجه اسرائيل امام العالم لا اكثر ، ولتستعمل بعد ذلك كنـــوع من الدعاية المكشوفة .

قلت للرئيس السادات :
بمناسبة كيسنجر يا سيادة الرئيس .. هنـــاك سؤال يراود الناس .. وبعيدا عن التعصب لشىء ، فهو وزير خارجية امريكا ، ولكن ديانته يهودية ، ففى اى الجانبين يقف ؟

قال الرئيس :
كيسنجر يقف مع مصالح بلاده ، ويعمل لتحقيقها . والسؤال هو : اين مصالح الولايات المتحدة الامريكية من هذا الصراع ؟ ان استراتيجية امريكا قائمة على المحافظة على وجود اسرائيل ، وهنا تلتقى الاستراتيجية الامريكية مع الاستراتيجية السوفيتية ، ولكن امريكا دابت على ان تطلق يد اسرائيل فى المنطقة تعربد فيها كما تشاء ، وكانت تؤيدها بالنفوذ السياسى ، وبالدعـــم الاقتصادى ، وبالسلاح والعتاد . لكن حرب اكتـــوبر خلقت موقفا جديدا ، بدا يهدد استراتيجية امريكا فى المنطقة ، لـــو ظلت تطاول اسرائيل وتؤيدها على طول الخط . ومن خلال واقع

جديد ، احست امريكا انها لا تخدم استراتيجيتها هى ، لو ظلت تتبع نفس الصيغة القديمة فى اطلاق يد اسرائيل تفعل فى المنطقة ما تشاء . ولكى تحافظ امريكا على خطوط الاستراتيجية الامريكية كما هى ، فقد صار عليها ، ان تضع قوة العرب فى الاعتبار ، وفى مقدمتها روعة الاداء العسكرى للمقاتل المصرى . وهنا تزحزحت امريكا عن موقف التاييد المطلق وبلا حدود لاسرائيل ، وبدات تفهم ان من صالح اسرائيل نفسها ، ان تواجه الحقائق الجديدة ، من ارض الواقع . ان حرب اكتوبر تمثل واقعا على ارض هذه المنطقة ، وقد تركت بصماتها على اقتصاد العالم ، وعلى ما اصاب المجتمع الاسرائيلى من تمزق وانهيار ، وعلى ادراك العالم للحقائق الجديدة . وقد كانت تصرفاتنا بعد الحرب منبثقة من الثقة بالنفس . اعلنا سياسة الانفتاح دون حذر او خوف ، تاكيدا لقدرتنا على حماية هذا الانفتاح ، وفتحنا قناة السويس ، دون ان نلقى بالا للتحذير ، لاننا لم نعد ننظر الى الوراء ، بعد ان صار هذا ((الوراء))ماضيا لن يتكرر .

قلت :

معنى هذا ان كيسنجر يخدم اسرائيل ؟

قال الرئيس السادات :

ويضع قوة العرب فى الاعتبار ، بعد ان لم تعد اسرائيل هى القوة الوحيدة فى المنطقة ، كما اشاعت فى الدنيا كلها ، طوال ربع قرن .

○ المعاناة التى تحملتها

قلت للسيد الرئيس :

... والاتحاد السوفيتى يا سيادة الرئيس

قال الرئيس السادات :

لقد حكيت مدى المعاناة التى تحملتها من صيغة التعامل التى يتخذها الاتحاد السوفيتى ، لكنى رغم كل هذا ، لا اغلق الباب معه ، ولا اظن ان من الحكمة ان تتدهور علاقاتنا مع الاتحاد السوفييتى وقادته . ولعلهم ان يكونوا قد ادركوا الآن مفاتيح الشخصية المصرية ، فنحن لسنا تابعين لاحد ، ولن نقبل التبعية لا لهذا ولا لذاك ، وطالما ان ارادتنا حرة ، وان الاحترام بيننا متبادل ، فان الامور يمكن ان تسير فى طريقها الطبيعى .

حدث مثلا ان ذهب بودجورنى ، رئيس الاتحاد السوفيتى لزيارة تركيا ، وهناك ادلى بتصريحات ضدنا ، حملت كثيرا من الهجوم الردىء .

وعندما رغب بعد هذا فى الحضور الى مصر لمقابلتى رفضت ان القاه او اقابله لانه اباح لنفسه ان يهاجمنا باسلوب غير لائق ، وانا لا اقابل من يوجه اهانة لمصر .

والحديث مع هذا متصل وممتد .. وزاخر ..

... كنهر النيل .

اجرى الحديث :

عبد المنعم الصاوى